# أقســـامُ القلــــوبِ ، وعلاماتُها

اعداد
فهد بن حذيفة بن عبدالله الطوالة

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484
الاستلام : ٢/ ٤/ ٢٠١٩ القبول : ٥ / ٥/ ٢٠١٩

**مقدمة :**

لما كان القلب يُوصف بالحياة وضِدِّها، ويُوصف أيضاً بالصَّلاح والفساد، انقسم بحسب ذلك إلى عِدَّة أقسام، وقد دلَّت النصوص الشرعية على هذا الانقسام، ومن هذه النصوص قوله تعالى: **(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤))** [الحج: ٥٣، ٥٤].

قال ابن تيمية رحمه الله -مُعلّقاً على الآية-: "جَعَلَ اللَّهُ الْقُلُوبَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ : قَاسِيَةً، وَذَاتَ مَرَضٍ، وَمُؤْمِنَةً مُخْبِتَةً ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا إمَّا أَنْ تَكُونَ جَامِدَةً لَا تَلِينُ لِلْحَقِّ اعْتِرَافًا وَإِذْعَانًا أَوْ لَا تَكُونُ يَابِسَةً جَامِدَةً .

فـ"الْأَوَّلُ" هُوَ الْقَاسِي وَهُوَ الْجَامِدُ الْيَابِسُ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ لَا يَنْطَبِعُ وَلَا يُكْتَبُ فِيهِ الْإِيمَانُ وَلَا يَرْتَسِمُ فِيهِ الْعِلْمُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مَحَلًّا لَيِّنًا قَابِلًا .

و"الثَّانِي" لَا يَخْلُو إمَّا أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ ثَابِتًا فِيهِ لَا يَزُولُ عَنْهُ لِقُوَّتِهِ مَعَ لِينِهِ أَوْ يَكُونَ لِينُهُ مَعَ ضَعْفٍ وَانْحِلَالٍ . فَالثَّانِي هُوَ الَّذِي فِيهِ مَرَضٌ وَالْأَوَّلُ هُوَ الْقَوِيُّ اللَّيِّنُ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ بِمَنْزِلَةِ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ كَالْيَدِ مَثَلًا فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ جَامِدَةً يَابِسَةً لَا تَلْتَوِي وَلَا تَبْطِشُ أَوْ تَبْطِشُ بِعُنْفِ فَذَلِكَ مِثْلُ الْقَلْبِ الْقَاسِي أَوْ تَكُونَ ضَعِيفَةً مَرِيضَةً عَاجِزَةً لِضَعْفِهَا وَمَرَضِهَا فَذَلِكَ مِثْلُ الَّذِي فِيهِ مَرَضٌ أَوْ تَكُونَ بَاطِشَةً بِقُوَّةِ وَلِينٍ فَهُوَ مِثْلُ الْقَلْبِ الْعَلِيمِ الرَّحِيمِ فَبِالرَّحْمَةِ خَرَجَ عَنْ الْقَسْوَةِ وَبِالْعِلْمِ خَرَجَ عَنْ الْمَرَضِ ؛ فَإِنَّ الْمَرَضَ مِنْ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ. وَلِهَذَا وُصِفَ مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِخْبَاتِ"(١).

حقيقة القلب السليم، وعلامات سلامته:

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لقوله ﷺ: **((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))**، "فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح

(١) مجموع الفتاوى (٢٧١/١٣).

حركة قلبه. فإذا كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتَوَقٍّ للشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات. وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب"[٢].

فهذا الكلام من هذا الإمام يبين لنا أهمية سلامة القلب وصحته، وأن الجوارح تابعة له، والسؤال هنا ما المقصود بالقلب السليم؟

لقد ورد ذكر القلب السليم في موضعين من كتاب الله: في قوله تعالى: **(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩))** [الشعراء:٨٨، ٨٩]، وقوله تعالى: **(إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤))** [الصافات:٨٣، ٨٤]، فلا نجاة يوم القيامة إلا لصاحب هذا القلب، ولقد اختلفت عبارات السلف رحمهم الله في المراد بالقلب السليم.

يقول الإمام الطبري[٣]: "والذي عنى به من سلامة القلب في هذا الموضع هو سلامة القلب من الشَّكِّ في توحيد الله، والبعث بعد الممات"[٤].

ويقول البغوي[٥]: **(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩))** [الشعراء: ٨٩]، "أي خالص من الشرك والشك"[٦].

وأما ابن كثير[٧] فجاء في تفسيره لقوله تعالى:( **إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩))** [الشعراء: ٨٩]، "أي سالم من الدّنس والشرك"[٨].

---

(٢) جامع العلوم والحكم (٧٤/١).

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين، بآمل طبرستان، كان إماما في فنون كثيرة، وتوفي يوم السبت في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد، رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان (١٩١/٤)، الأعلام للزركلي ( ٦٩/٦).

(٤) تفسير الطبري (٣٦٦/١٩).

(٥) أَبُو مُحَمَّدٍ الحُسَيْنِ بن مَسْعُوْدِ البَغَوِيّ، المُفَسِّرُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَكَانَ سَيِّداً إِمَاماً، زَاهِداً قَانِعاً بِاليَسِيْرِ، تُوُفِّيَ: بِمَرْو الـرُّوذ - مدينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ خُرَاسَانَ - فِي شَوَّالٍ، سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مائَةٍ، وَعَاشَ بِضْعاً وَسَبْعِيْنَ سَنَةً - رَحِمَهُ اللهُ -. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩).

(٦) تفسير البغوي (٤٧١/٣).

(٧) إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام عام ٧٠١، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق عام ٧٧٤ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٠/١).

(٨) تفسير ابن كثير (١٤٩/٦).

وقيل: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وقال سعيد بن المسيب[٩]: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله: **(رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠))** [محمد: ٢٠].

ويقول السعدي: "والقلب السليم، معناه: الذي سلم من الشرك والشك، ومحبة الشر، والإصرار على البدعة والذنوب. ويلزم من سلامته مما ذكر، اتصافه بأضدادها، من الإخلاص، والعلم، واليقين، ومحبة الخير، وتزيينه في قلبه. وأن تكون إرادته ومحبته، تابعة لمحبة الله، وهواه، تابعا لما جاء عن الله"[١٠].

وقال في موضع آخر: "فأما القلب الصحيح فهو القلب السليم من جميع الآفات، وهو القلب الذي صحت وقويت قوته العلمية، وقوته العملية الإرادية، وهو الذي عرف الحق فاتّبعه بلا تردُّد، وعرف الباطل فاجتنبه بلا توقُّف، فهذا هو القلب الصحيح الحي السليم، وصاحبه من أولي النهى وأولي الحِجَا وأولي الألباب وأولي الأبصار، والمخبت لله والمنيب إليه"[١١].

يقول الغزالي عن هذا القلب وهو يقسم القلوب لثلاثة أقسام:"قلبٌ عُمِرَ بالتقوى، وزكا بالرياضة، وطَهُر عن خبائث الأخلاق.. وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى: **(وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨))** [الرعد:٢٨]"[١٢].

وأما ابن تيمية رحمه الله فقد بيّن معنى القلب السليم بقوله: "... بحيث لا يكون العبد مُلتفتا إلى غير الله ولا ناظرا إلى ما سواه، لا حُبًّاً له ولا خوفاً منه ولا رجاءً له، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات خاليًا منها لا ينظر إليها إلاَّ بنور الله، فبالحق يسمع وبالحق يُبصر، وبالحق يبطش، وبالحق يمشى، فيحب منها ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله، ويوالى منها ما والاه الله، ويعادى منها ما عاداه الله، ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله، ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم، المؤمن العارف المحقق الموحد بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم"[١٣].

---

(٩) سعيد بن المسيّب بن حزن الْقرشِي المَخْزُومِي الْمدنِي عَالم أهل الْمَدِينَة بِلَا مدافعة، وُلد فِي خلَافَة عمر لأَرْبَع مضين مِنْهَا، كان من أعلم الناس بالنسب، توفيّ سنة أَربع وَتِسْعين لِلْهِجْرَةِ. انظر: الوافي بالوفيات (١٦٣/١٥).

(١٠) تفسير السعدي (٥٩٣/١).

(١١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٥٥/٢).

(١٢) إحياء علوم الدين (٤٦/٣).

(١٣) مجموع الفتاوى (٢٢٣/١٠).

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

ولقد عرّف ابن القيم القلب السّليم فقال: "وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك : أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.

فالقلب السّليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادةً ومحبةً وتوكلاً وإنابةً وإخباتاً وخشيةً ورجاءً وخلص عمله لله، فإن أحبَّ أحب في الله وإن أبغض أبغض في الله وإن أعطى أعطى لله وإن منع منع لله ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال"(١٤).

وقال في موضع آخر: "وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذي همُّه كلُّه في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابِّه، الخلوة به آثر عنده من الخُلطة إلا حيث تكون الخُلطة أحب إليه وأرضى له، قرة عينه به، وطمأنينته وسكونه إليه"(١٥).

وقال ابن رجب: "فالقلب السليم هو السّالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد منه"(١٦).

وقال أيضاً: "والحاصل أن القلب السليم هو الصالح الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره، وهو أن يكون سليماً عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته ومحبته ما يحبه الله وإرادة ذلك وكراهة ما يكرهه الله والنفور عنه"(١٧).

وبعد هذا العرض لأقوال السّلف في بيان المراد بالقلب السّليم، يظهر أنّ الأقرب في تعريف القلب السليم هو الذي سَلِم وخَلُص من كُلّ شُبهةٍ ومِنْ كُلّ شهوة، فحينئذٍ صار نقيّاً من جميع أمراض الشّبهات والشّهوات.

**علامات القلب السليم:**

إن للقلب السليم علامات كثيرة ذكرها أهل العلم وأشاروا إليها في كتبهم، ومن هذه العلامات ما ذكره العلامة بن القيم حيث قال:

---

(١٤) إغاثة اللهفان (٨/١).

(١٥) إغاثة اللهفان (٧٣/١).

(١٦) جامع العلوم والحكم (٧٥/١).

(١٧) فتح الباري (٢٠٨/١).

١ـ "ومن علامات صحة القلب أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها جاء إلى هذه الدار غريباً يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه... وكلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها وكلما مرض القلب واعتل أثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها"[١٨].

قال السعدي- متحدّثاً عن حال العبد مع الدّنيا -: "فمن تناولها من حلها، ووضعها في حقها، واستعان بها على ما خلق له من القيام بعبودية الله، كانت زادا له وراحلة إلى دار أشرف منها وأبقى، وتمت له السعادة الدنيوية والأخروية"[١٩].

٢ـ ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يحثُّ صَاحِبَهُ حتى ينيب إلى الله ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به[٢٠].

قال ابن القيم: "فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب وغذاء الأرواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من الم العين إذا فقدت نورها والأذن إذا فقدت سمعها والأنف إذا فقد شمه واللسان إذا فقد نطقه بل فساد القلب إذا خلى من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلي منه الروح وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة"[٢١].

وفي موضعٍ آخر له يقول: "فاستقامة القلب بشيئين: (أحدها) أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى الله وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه فرتّب على ذلك مقتضاه (الأمر الثاني) الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الأمر والنهي وهو ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي"[٢٢].

٣ـ ومن علامات صحة القلب: ألّا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته ولا يأنس بغيره إلا بمن يدلُّه عليه ويذكره به ويذاكره بهذا الأمر.

وقال في موضع آخر: "ولا سبيل إلى الأمان من ذلك ـ أي الهلاك والحرمان ـ إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به وألّا يزال اللسان رطباً به وأن يتولى منزلة حياته التي لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك وبمنزلة الماء عند شدة العطش وبمنزلة اللباس في الحر والبرد وبمنزلة الكن في شدة الشتاء والسَّموم"[٢٣].

---

(١٨) إغاثة اللهفان (٧٠/١).
(١٩) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (٢٥٠/١).
(٢٠) انظر: إغاثة اللهفان (٧١/١).
(٢١) الجواب الكافي (١٦٨/١).
(٢٢) الوابل الصيب (١٥/١).
(٢٣) المصدر السابق (٦٧/١).

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

فحقيق بالعبد أن يُنزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟ هذا هلاك لابد منه وقد يعقبه صلاح لابد وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢٤].

٤- ومن علامات صحته: أنه إذا فاته وِرْدُه وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

٥- ومن علامات صحته: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همُّه وغمُّه بالدنيا واشتدَّ عليه خروجه منها ووجد فيها راحته ونعيمه وقرت عينه وسرور قلبه.

٦- ومن علامات صحته: أن يكون همُّه واحداً وأن يكون في الله، فيكون قصدَه ربُّه في جميع شُؤونه.

٧- ومن علامات صحته: أن يكون أشحُّ بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شُّحاً بماله.

٨- ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك مِنَّة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله[٢٥].

ومما ذكره أهل العلم أيضاً في علامات القلب السليم:

٩- الإقبال على القرآن الكريم تلاوة وتدبراً وعملاً: يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: **(يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧))** [يونس:٥٧].

".. وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادَّة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يجوب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونمتا على تكرار ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه، وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين"[٢٦].

وقال صاحب تفسير البحر المديد: ".. لأن عُنْوان صحة القلب جمعُه على كلام الله وتدبر خطابه والتلذذ بسماعه"[٢٧].

قال ابن تيمية رحمه الله: "والقرآن شفاءٌ لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات، ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة

---

(٢٤) المصدر السابق (٦٧/١).
(٢٥) إغاثة اللهفان (٧٢/١).
(٢٦) تفسير السعدي (٣٦٦/١).
(٢٧) البحر المديد (٣٦٦/١).

المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي بعد أن كان مريداً للغي مبغضاً للرشاد، فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يتغذى البدن بما ينميه ويقومه"[٢٨].

وقد ذكر ابن القيم أن القلب يتغذى من القرآن ويتربّى عليه فينمو ويزيد، فقال: "يتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويقويه ويؤيده ويفرحه ويسره وينشطه ويثبت ملكه كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه وكل من القلب والبدن محتاج إلى أن تربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح فكما أن البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغدية المصلحة له والحمية عما يضره فلا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه إلا بذلك ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو نزر يسير لا يحصل له به تمام المقصود"[٢٩].

وقال أيضاً: "وكذلك محبة كلام الله؛ فإنها من علامة محبة الله. وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله ؛فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء بسماعهم؛ فإنه من المعلوم أن من أحبّ حبيباً كان كلامه وحديثه أحبّ شيءٍ إليه"[٣٠].

١٠- ترك الفواحش والمعاصي: فالذنوب أمراض القلوب، ودواء القلوب في ترك الذنوب. قال ابن تيمية: "وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب. وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن ومثل الدّغل في الزرع، فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرديئة كاستخراج الدم الزائد تخلصت القوة الطبيعية واستراحت فينمو البدن وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغًا من تخليطاته حيث خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه. فزكاة القلب بحيث ينمو ويكمل"[٣١].

---

(٢٨) أمراض القلب وشفاؤها (٤/١).
(٢٩) إغاثة اللهفان (٤٦/١).
(٣٠) الجواب الكافي (١٧٠/١).
(٣١) أمراض القلوب وشفاؤها لابن تيمية (٦/١).

وقال ابن القيم: "وحياة القلب بدوام الذكر وترك الذنوب كما قال عبدالله بن المبارك رحمه الله[٣٢]:

رأيت الذنوب تميت القلوب *** وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب *** وخير لنفسك عصيانها[٣٣]

إلى أن قال: فحياة القلب بدوام الذكر والإنابة إلى الله وترك الذنوب والغفلة الجاثمة على القلب والتعلق بالرذائل والشهوات المنقطعة عن قريب يضعف هذه الحياة ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت"[٣٤].

١١- الأعمال الصالحة: فهي من علامات القلب السليم، يقول ابن تيمية: "وَالْعَمَلُ لَهُ أَثَرٌ فِي الْقَلْبِ مِنْ نَفْعٍ وَضُرٍّ وَصَلَاحٍ قَبْلَ أَثَرِهِ فِي الْخَارِجِ فَصَلَاحُهَا عَدْلٌ لَهَا وَفَسَادُهَا ظُلْمٌ لَهَا قَالَ تَعَالَى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦))** [فُصِّلَت:٤٦][٣٥]، وقال في موضع آخر: فَصِحّةُ القلب بالإيمان تحفظ بالمِثْل، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح، فتلك أغذيةٌ له"[٣٦].

وقال ابن القيم: "فكذلك القلب لا تتم له حياته إلا بغذاءٍ من الإيمان والأعمال الصالحة تحفظ قوَّته"[٣٧].

١٢- أن يستقرّ بالقلب معرفة الله وعظمته، ومحبته، وخشيته، ورجاؤه، والتوكُّل عليه.

يقول ابن رجب: "فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكُّلُ عليه ويمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قول لا إله إلا الله فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شريك له ولو كان في السموات والأرض إله يؤله سوى الله لفسدت بذلك السموات والأرض"[٣٨].

١٣- سلامة الصّدر من الحسد والضغائن والأحقاد، والرِّضى بما قسمه الله وقدّره، قال تعالى: **(وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا)** [الحشر:١٠].

---

(٣٢) عبدالله بن المبارك ابن واضح، أحد الأعلام، مولده في سنة ثمان عشرة ومئة. فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، مات سنة إحدى وثمانين ومائة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨)، وفيات الأعيان (٣٤/٣) بتصرف.

(٣٣) ديوان الإمام عبدالله بن المبارك (٢٢/١).

(٣٤) مدارج السالكين (٢٦٣/٣).

(٣٥) مجموع الفتاوى (٩٨/١٠).

(٣٦) مجموع الفتاوى (٤٨/١٥٦).

(٣٧) الجواب الكافي (٧٥/١).

(٣٨) جامع العلوم والحكم (٧٥/١).

يقول السعدي: "ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين. فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان.. واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزمٌ لما ذكرنا، ومتضمّنٌ لمحبة بعضهم بعضا.."[٣٩].

يقول ابن القيم: "الرّضى يفتح له باب السّلامة، فيجعل قلبَه سليماً نقيّاً من الغِشِّ والدّغل والغلّ، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى، وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم فالخبث والدغل والغش قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضى، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى"[٤٠] .

وهناك علاماتٌ أخرى كثيرةٌ، كوجل القلب من الله سبحانه، وشدة خوفه منه، كما قال سبحانه: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢))** [الأنفال:٢].

ومنها: القشعريرة في البدن: ولين الجلود والقلوب عند سماع القرآن كما قال الله سبحانه: **(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣))** [الزُّمَر:٢٣].

ومنها: خشوع القلب عند ذكر الله سبحانه كما قال الله عز وجل: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦))** [الحديد:١٦].

ومنها: الإذعان للحق والإخبات له كما قال الله سبحانه: **(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤))** [الحج:٥٤].

ومنها: كثرة الإنابة إلى الله كما قال الله سبحانه: **(مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣))** [ق:٣٣].

ومنها: السكينة والوقار، كما قال الله سبحانه: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤))** [الفتح:٤].

حقيقة القلب الميت، وعلامات موته:

---

(٣٩) تفسير السعدي (٨٥١/١).

(٤٠) مدارج السالكين (٢٠٧/٢).

الحديث هنا سيكون عن قلبَيْ الكافر والمنافق، البعيدة كلَّ البعد عن الوحي ونور الرسالة، فإنه قد جاء وصف القلب بالموت في عِدّة مواضع من كتاب الله كما في قوله تعالى: **(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠))** [النمل:٨٠]، وقوله: **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢))** [الأنعام:١٢٢] . أيْ أَوَ مَنْ كان كافراً ميّت القلب مغموراً في ظلمة الجهل، فهديناه لرشده ووفقناه للإيمان وجعلنا قلبه حيًّا بعد موته، مشرقاً مستنيراً بعد ظلمته(٤١).

ولمّا ذكر ابن القيم هذه الآيات الدالّة على موت قلوب الكفار قال: "فوصف الكافر بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور، وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره، فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا إرادة للحق وكراهة للباطل بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب وألم فقدهما"(٤٢).

وأما في حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- المتقدم فقد وصف القلب الميت بوصفين: قلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، فأما القلب الأغلف: فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق عرف، ثم أنكر.

ويُوضِّح الغزالي المراد بهذا القلب فيقول: "القلب المخذول، المشحون بالهوى، المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبواب الشياطين، المسدود عنه أبواب الملائكة"(٤٣).

ويُبيّن ابن تيمية المراد بهذا القلب بأنه: "الْجَامِدُ الْيَابِسُ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ لَا يَنْطَبِعُ وَلَا يُكْتَبُ فِيهِ الْإِيمَانُ وَلَا يَرْتَسِمُ فِيهِ الْعِلْمُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مَحَلًّا لَيِّنًا قَابِلًا"(٤٤).

وأمّا ابن القيم فقد قال عنه: "القلب الميّت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربّه ولا يعبده بأمره وما يحبُّه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذّاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظِّه، رضيَ ربُّه أم سخط، فهو مُتعبّدٌ لغير الله حُبّا وخوفاً، ورجاءً، ورِضاً، وسخطاً، وتعظيماً، وذُلّاً، إن أحبّ أحبّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده وأحبُّ إليه من رِضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور وبسكرة الهوى وحُبِّ العاجلة، مخمورٌ،

---

(٤١) انظر: إغاثة اللهفان (٢١/١).
(٤٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٤١/١٧).
(٤٣) إحياء علوم الدين (٤٦/٣).
(٤٤) مجموع الفتاوى (٢٧١/١٣).

يُنادَى إلى الله وإلى الدار الا خرة من مكانٍ بعيد، ولا يستجيب للنّاصح، ويتّبع كُلَّ شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يُصِمُّه عمّا سوى الباطل ويُعميه"(٤٥).

وفي موضعٍ آخر أشار رحمه الله للقلب الميّت بقوله: "... قلبٌ خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلبٌ مُظلمٌ، قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه، لأنه قد اتّخذه بيتاً ووطناً، وتحكّم فيه بما يريد، وتمكّن منه غاية التّمكُّن"(٤٦).

ويُوضّح السعدي المراد بالقلب الميت بقوله: "وأما القلب القاسي فهو الذي لا يلين لمعرفة الحق، وإن عرفه لا يلين للانقياد له، فتأتيه المواعظ التي تلين الحديد وقلبه لا يتأثر بذلك، إما لقسوته الأصلية، أو لعقائد منحرفة اعتقدها ورسخ قلبه عليها، وصعب عليه الانقياد للحقّ إذا خالفها"(٤٧).

ولعل الأقرب في المراد بالقلب الميت والله أعلم أنه الخالي من الإيمان، والقاسي الذي لا يقبل الحق، ولا ينقاد له.

**علامات موت القلب:**

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن المراد بالقلب الميت هو قلب الكافر والمنافق الذي غلفه الكبر، وهذا القلب لا نفع فيه ولا سبيل للإيمان إليه طالما حجبه صاحبُه بالكِبر إلا بمِنَّةٍ مِنَ الله عليه، فمن علامات موت هذا القلب:

١ـ أنه قد غلفه الرَّان فَخُتِمَ وطُبِعَ عليه، فهو مُقفلٌ عن كل خير، أعمى لا يبصر الهدى. قال تعالى: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤))** [المطفّفين:١٤].

وقال: **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣))** [المنافقون:٣]

وقال: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤))** [محمد:٢٤] .

قال مجاهد(٤٨) رحمه الله: "الرّان أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد ذلك كله"(٤٩).

قال تعالى: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤))** [محمد:٢٤]، أي بل ران على قلوب أقفالها، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه (٥٠).

---

(٤٥) إغاثة اللهفان (٩/١).
(٤٦) الوابل الصيب (٤٠/١).
(٤٧) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٥٧/٢).
(٤٨) مجَاهِدُ بنُ جَبْرٍ، أَبُو الحَجَّاجِ المَكِّيُّ، روَى عَنِ: ابْنِ عَبَّاسٍ - فَأَكْثَرَ وَأَطَابَ - وَعَنْهُ أَخَذَ القُرْآنَ، وَالتَّفْسِيْرَ، وَالفِقْهَ، وأجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، توفي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمائَةٍ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤)، ميزان الاعتدال (٤٤٠/٣).
(٤٩) تفسير الطبري (٢٥٩/١).
(٥٠) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٠/٧).

٢ـ ومنها أنه لاهٍ غافل، قد أشرب حُبّ اللهو فاشتغل به ، قال: **(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨))** [الكهف:٢٨][٥١]، أيْ لا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار بالكفر وغلبة الشقاء، واتّبع هواه، وتَرَكَ اتّباع أمر الله ونهيه، وآثَرَ هوى نفسه على طاعة ربه[٥٢].

يقول ابن القيم رحمه الله -مبيناً أثر الغفلة على القلب وإماتتها له-: "فالقحط الذي ينزل بالقلب هو الغفلة، فالغفلة هي قحط القلوب وجدبها، وما دام العبد في ذكر الله والإقبال عليه فغيث الرحمة ينزل عليه كالمطر المتدارك، فإذا غفل ناله من القحط بحسب غفلته قلةً وكَثرة، فإذا تمكَّنت الغفلة منه، واستحكمت صارت أرضه خراباً ميتة، وسنته جرداء يابسة، وحريقُ الشّهوات يعمل فيها مِنْ كُلّ جانب كالسَّمائم"[٥٣][٥٤].

٣ـ ومنها أنه قاسٍ لا يقبل الحق، فالقلب القاسي هو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تنطبع فيه[٥٥]، قال تعالى: **(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢))** [الزُّمَر:٢٢]، والقسوة هي غلظة القلب وجفافه، وأصله من حجر قاس[٥٦]، وهي عِبارة عن خُلُوِّها من الإنابة والإذعان لآيات الله[٥٧].

قوله تعالى: **(لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ)** ، أي يبُست وجفّت، وجَفاف القلب هو خروج الرحمة واللّين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودّت، من بعد ذلك، من بعد ظهور الدّلالات[٥٨]. ومعنى الآية: فويلٌ للّذين جفّت قلوبُهم ونأَت عن ذكر الله وأعرضت، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذِكْره، مُذكّراً به عباده، فلم يؤمن به، ولم يُصدِّق بما فيه[٥٩].

٤ـ ومنها تعلُّق القلب بغير الله عز وجل، يقول ابن تيمية رحمه الله: "كُلُّ مَنْ عَلَّقَ قَلْبَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ أَنْ يَنْصُرُوهُ أَوْ يَرْزُقُوهُ أَوْ أَنْ يَهْدُوهُ خَضَعَ قَلْبُهُ لَهُمْ ؛ وَصَارَ فِيهِ مِنْ الْعُبُودِيَّةِ لَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ؛ وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ أَمِيرًا لَهُمْ مُدَبِّرًا لَهُمْ مُتَصَرِّفًا بِهِمْ... فَإِنَّ أَسْرَ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ أَسْرِ الْبَدَنِ وَاسْتِعْبَادَ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ اسْتِعْبَادِ الْبَدَنِ"[٦٠].

(٥١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبدالله الجربوع (٣٣٢/١).
(٥٢) انظر: تفسير الطبري (٨/١٨).
(٥٣) الريح الحارّة، الصحاح (١٩٥٤/٥).
(٥٤) أسرار الصلاة (٣/١).
(٥٥) انظر: شفاء العليل (١٠٥/١).
(٥٦) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني، (ص: ٤٠٤).
(٥٧) انظر: فتح القدير (١٥٨/١).
(٥٨) انظر: تفسير البغوي (١٣٢/١).
(٥٩) انظر: تفسير الطبري (٢٧٨/٢١).
(٦٠) رسالة العبودية (١٦/١).

والقلب لابُدَّ له من مُتعلَّقٍ به، ويركن إليه، فمن لم يتعلّق بربّه وخالقه، وَكَلَه الله إلى غيره، يقول ابن القيم رحمه الله: "فإنّ القلب لابُدّ له من التعلّق بمحبوب، فمن لم يكن اللهُ محبوبَه وإلهَه ومَعبُودَه، فلا بُدَّ أن يتعبَّد قلبُه لغيره"[٦١].

٥- عدمُ الحُزن على ما فات من الطّاعات، وتركُ النَّدم على ما فعله من الزَّلات، وقد جاء في الخبر **((مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنْ))**[٦٢]. فإذا لم يكن العبد بهذا الوصف فهو ميِّت القلب، لأن أعمال العبد الحسنة علامةٌ على وجود رضى الله عنه، وأن أعماله السيئة علامةٌ على وجود سخطه الله عليه.

٦- نسيان العبد ربَّه جل وعلا، والغفلة عنه: قال تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩))** [الحشر:١٩]. والحرمان كلُّ الحرمان ، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويُشابه قوماً نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يَحصُلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدَّارين، وغُبنوا غبناً، لا يمكنهم تداركه، ولا يُجبرُ كَسْرُه، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه[٦٣].

يقول ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن فضل الذِّكْر: "إنّ دوامَ ذِكْرِ الربِّ تبارك وتعالى يُوجب الأمانَ مِنْ نسيانه الذي هو سببُ شقاءِ العبد في معاشِه ومعادِه، فإنّ نسيان الربِّ سبحانه وتعالى يُوجِبُ نسيانَ نفسه ومصالحها ، وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت"[٦٤].

٧- نسيانُ الآخرة والانكبابُ على أشغال الدنيا، قال ابن القيم رحمه الله: "ومتى رأيت القلب قد ترحّل عنه حبِّ الله والاستعداد للقائه وحلَّ فيه حب المخلوق والرِّضا بالحياة الدُّنيا والطمأنينة بها، فاعلم أنه قد خُسِف به"[٦٥].

ولذلك فإنّ من جعل الدنيا همَّه، ناسياً آخرته، معرضاً عما خلق لأجله، فإنما يتعجل بذلك شقاءه، يقول السعدي رحمه الله - شارحاً لحديث:**((إن هذه الدنيا حلوة**

---

(٦١) إغاثة اللهفان (٤٧/١).

(٦٢) أخرجه الترمذي (٣٥/٤)، في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥)، وصححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٦٥/٥).

(٦٣) تفسير السعدي (٨٥٣/١).

(٦٤) الوابل الصيب (٦٧/١).

(٦٥) بدائع الفوائد (٣٢٠/٤).

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

**خضرة))**[٦٦]: "أخبر ﷺ في هذا الحديث بحال الدنيا وما هي عليه من الوصف الذي يروق الناظرين والذائقين، ثم أخبر أن الله جعلها الدنيا محنة وابتلاء للعباد.... ومن جعلها أكبر همِّه، وغايةَ عِلمهِ ومُرادِه، لم يُؤْتَ منها إلا ما كُتب له، وكان مآله بعد ذلك إلى الشَّقاء، ولم يهنأْ بلذاتِها ولا شهواتِها إلا مُدَّةً قليلة، فكانت لذَّاته قليلة، وأحزانُه طويلة"[٦٧].

٨. أُنسُ العبد بالخلق دون الخالق، ووحشته من الخلوةِ بربِّه، وافتقادُه لذَّة ذِكره ومناجاته، فإن حياة القلب بذكر ربه ومناجاته والخلوة به للعبادة والدعاء والتضرع، فمن كان مستوحشاً من هذه الحياة الطيبة فهو بسبب موت قلبه المنتكس الذي يعتقد نجاته فيما فيه عطبه، قال ذو النون[٦٨]: "ثلاثةٌ من علامات موت القلب: الأنس مع الخلق، والوحشة في الخلوة مع الله، وافتقاد حلاوة الذِّكر"[٦٩].

قال ابن القيم رحمه الله: "ومتى رأيتَ نفسَك تهربُ من الأُنسِ به إلى الأنس بالخلق، ومن الخلوةِ مع الله إلى الخلوةِ بغيره، فاعلم أنَّك لا تصلُحُ له"[٧٠].

٩ـ الإعراضُ عن كلام الله سبحانه، قال تعالى:(**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي (١٢٤)**)[طه: ١٢٤]، أي: خالف أمري، وما أنزلتُه على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه (**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا (١٢٤)**)، أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حَرَجٌ لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلقٍ وحيرةٍ وشكٍّ، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة[٧١]. قال ابن القيم رحمه الله في المراد بذكره في قوله:(**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي (١٢٤)**) ، "فَذِكْرُهُ كَلامُهُ الذي أنزله على رسوله، والإعراض عنه تَركُ تدبُّره والعمل به"[٧٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا القلب قد يمنُّ الله عليه بالحياة بعد موته، وباللِّين بعد قسوته، وبالهداية بعد ضلاله، فالله على كل شيء قدير، ولا يأس من رَوْحِ الله.

---

(٦٦) أخرجه مسلم (٢٠٩٨/٤)، في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان فتنة النساء، برقم (٢٧٤٢).

(٦٧) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (٢٤٩/١).

(٦٨) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، الصالح المشهور، تُوُفِّي فِي ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ ستِ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ بمصر وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ التِّسْعِيْنَ. انظر: وفيات الأعيان (٣١٥/١)، سير أعلام النبلاء (٥٣٣/١١).

(٦٩) شعب الإيمان (١٨٧/٢).

(٧٠) بدائع الفوائد (٣٢٠/٤).

(٧١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/٥).

(٧٢) الفوائد لابن القيم (١٨٥/١).

يقول الله عز وجل: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧))** [الحديد:١٦].

أي: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دُروسها، كذلك نهدي الإنسان الضالّ عن الحقّ إلى الحقّ، فنوفّقه ونسدّده للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كُفره، ومهتدياً من بعد ضلاله[٧٣].

ففي هذه الآية إشارة إلى أنّه تعالى يُليِّن القلوبَ بعد قَسوتها، ويَهدي الحَيَارى بعد ضَلَّتها، ويُفرِّج الكروب بعد شدَّتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتَّان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويُولج إليها النورَ بعد ما كانت مقفلةً لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال[٧٤]. فالذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحقّ على رسوله[٧٥].

وهذا من لطيف وسرِّ قدر الله سبحانه، بأنه يهدي عبده من الكفر للإيمان، ومن البدعة للسنَّة، ومن المعصية للطاعة، يقول ابن القيم رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يمتنع مع الطّبع والختم والقفل حصول الإيمان بأن يفكَّ الذي ختم على القلب وطُبع عليه وضُرب عليه القفل ذلك الختم والطابع والقفل، ويهديه بعد ضلاله، ويُعلِّمه بعد جهله، ويُرشدُه بعد غيِّه، ويفتحُ قُفْلَ قَلْبِه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده، حتى لو كُتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان"[٧٦].

حقيقة القلب المريض وعلامات مرضه:

مرض القلب، إمّا أن يكون بسبب الشُّبهةِ كقوله تعالى: **(ﮉ ﮊ ﮋ)** [البقرة: ١٠]، وإمّا بسبب الشَّهوة كقوله تعالى: **(ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ)** [الأحزاب:٣٢][٧٧].

ولقد ورد ذكرُ مرض القلب في كتاب الله في اثني عشر موضعاًَ، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري أن القلبَ المريضَ تمُدُّهُ مادَّتان؛ مادَّةُ إيمانٍ ومادَّةُ نِفَاق، وهو لما غلب منهما.

---

(٧٣) انظر: تفسير الطبري (١٨٩/٢٣).
(٧٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢١/٨).
(٧٥) انظر: تفسير السعدي (٨٤٠/١).
(٧٦) شفاء العليل (٩٠/١).
(٧٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٦/١٦).

وخُلاصة هذه الأدلّة أن سبب المرض إما نفاقٌ، وإمَّا ضعفُ إيمانٍ بسبب الشُّبهةِ أو الشهوةِ، والحديثُ هنا عن قلب المسلم العاصي.

وقد صوّر الغزالي حالة هذا القلب، وكأنّه في معركة بين جندين، وحزبين، كلٌّ منهما يريده تبعاً له، فيقول: "قلبٌ تبدو فيه خواطرُ الهوى، فتدعوه إلى الشرِّ فيلحقُه خاطرُ الإيمان فيدعوه إلى الخير، فتنبعث النَّفس بشهوتها إلى نُصرةِ خاطر الشرِّ، فتقوى الشهوةُ وتُحسِّنُ التمتُّع والتنعم، فينبعث العقلُ إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة، ويقبِّح فعلها، وينسبها إلى الجهل، ويشبهها بالبهيمة والسَّبُع في تهجُّمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب، فتميلُ النفس إلى نصح العقل، فيحملُ الشيطانُ حملةً على العقل فيقوى داعي الهوى.... فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه، فيحملُ الملكُ حملةً على الشيطان.... فعند ذلك تمتثل النَّفس إلى قول الملك، فلا يزال يتردَّدُ بين الجُنْدين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به"(٧٨).

ويكون مرض القلب بسبب فسادٍ في التصوُّر، فيلتبس عليه الحقُّ والباطل، قال ابن تيمية رحمه الله: وكذلك مرض القلب هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصُّوره، وإرادتُه فتصوُّره بالشُّبهات التي تَعرِض له حتى لا يرى الحقَّ، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادتُه بحيث يُبغض الحقَّ النافعَ، ويحُبَّ الباطلَ الضارَّ، فلهذا يُفسَّرُ المرضُ تارةً بالشَّكِّ والرَّيْب(٧٩).

وجعل ابن القيم رحمه الله سببَ مرضِ القلب هو خروجه عن صحّته واستقامته بسبب الشُّبهة أو الشُّهوة، فقال: "ومرض القلب خروجٌ عن صِحّته واعتداله، فإنَّ صِحَّتهَ أن يكون عارفاً بالحقِّ محباً له مُؤثِراً له على غيره، فمرضُه إمّا بالشكِّ فيه وإمّا بإيثار غيره عليه، فمرضُ المنافقين مرضُ شكٍّ وريْب، ومرضُ العصاةِ مرضُ غَيٍّ وشهوة، وقد سمَّى الله سبحانه كُلًّا منهما مرضا"(٨٠).

وقال في موضعٍ آخر: "ومرض القلب أن يتعذّر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة.."(٨١).

ويقول أيضاً -مُبيِّناً حقيقة هذا القلب وتلك المواد التي تمدُّه-: "قلبٌ له حياةٌ وبه علَّة، فله مادَّتان تمُدُّه هذه مرة وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبَّة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبَّة الشهوات وإيثارِها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحُبِّ العُلُو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادَّة هلاكِه وعطبه، وهو ممتحنٌ بين داعيين.... والقلب

---

(٧٨) إحياء علوم الدين (٤٧/٣).
(٧٩) مجموع الفتاوى (٩٤/١٠).
(٨٠) شفاء العليل (٩٩/١).
(٨١) إغاثة اللهفان (٦٨/١).

المريض إن غلب عليه مرضُه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صِحَّتُه التحقَ بالسَّليم.."[٨٢] .

ويتبيّن ممّا سبق من كلام العلماء في المراد بالقلب المريض أنّه المتردِّدُ بين السّلامة، والقساوة، تُمِدُّه مادَّة حياة، ومادَّة هلاكٍ، فيستجيب لما يغلب عليه منهما.

وقد يمرض القلب ويشتدُّ مرضُه، ولا يعرف به صاحبُه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحَّته وأسبابِها، بل قد يموتُ وصاحبُه لا يشعر بموته، فأمراض القلوب أصعبُ من أمراض الأبدان، لأنَّ غايةَ مرضِ البدنِ أن يُفضي بصاحبه إلى الموت، وأمَّا مرضُ القلب فيفُضي بصاحِبه الى الشَّقاء الأَبَدي[٨٣]. نعوذ بالله من ذلك.

**وأمراض القلوب نوعان:**

١ـ مرض الشُّبهات، يُصيب المعتقدات، ومنه يكون الكفر والنفاق، ومرضه هو نوع فساد يحصل للقلب يفسد به تصوُّره للحق، فلا يرى الحق حقاً، أو يراه على خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له.

٢ـ مرض الشّهوات، يُصيب العواطف والرغبات، ومنه تكون المعاصي، ومرضه هو نوع فساد يحصل للقلب يفسد به إرادته للحق، فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار[٨٤].

قال ابن تيمية: "فإنه كما تعرض الأمراض للأبدان، كذلك تعرض الأمراض للنفوس مرض الشّبهات والشّهوات"[٨٥].

وفي كتاب الله يُطلَق مرض القلب على هذين النوعين: يقول الشنقيطي[٨٦]: "وَاعْلَمْ أَنَّ مَرَضَ الْقَلْبِ فِي الْقُرْآنِ يُطْلَقُ عَلَى نَوْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا : مَرَضٌ بِالنِّفَاقِ وَالشَّكِّ وَالْكُفْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ **(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠))** [البقرة:١٠] الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ هُنَا **(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣))** [الحج:٥٣]، أَيْ: كُفْرٌ وَشَكٌّ.

---

(٨٢) إغاثة اللهفان (٩/١).

(٨٣) انظر: مفتاح دار السعادة (١١١/١).

(٨٤) انظر: إغاثة اللهفان (١٧/١).

(٨٥) درء التعارض (٣٩١/٢).

(٨٦) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) . ولد عام ١٣٢٥هـ، وتعلم بها، واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة، له كتب عديدة، وتوفي بمكة عام ١٣٩٣ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤٥/٦).

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

وَالثَّانِي: إِطْلَاقُ مَرَضِ الْقَلْبِ عَلَى مَيْلِهِ لِلْفَاحِشَةِ وَالزِّنَى، وَمِنْهُ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: **(فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢))** [الأحزاب:٣٢]، أَيْ : مَيْلٌ إِلَى الزِّنَا وَنَحْوِهِ"[٨٧] .

قال ابن القيم: "إن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات، هذان أصل داء الخلق إلا من عافاه الله"[٨٨].

وكذلك يقول السعدي في قوله: **(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)** [البقرة:١٠]، والمراد بالمرض هنا: "مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، كما قال تعالى: **(فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)** [الأحزاب:٣٢]، وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية"[٨٩].

وقد أشار الله تعالى إلى أنّ هذين المرضين هما أساسُ فسادِ الدِّين بقوله : **(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩))** [التوبة:٦٩] .

قال ابن تيمية رحمه الله: "وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق، وبين الخوض، لأن فساد الدين، إما أن يقع بالاعتقاد الباطل، والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحقِّ.

والأول هو البدع ونحوها، والثاني: فسق الأعمال ونحوها، والأول من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات.."[٩٠]، فبيَّن رحمه الله أنّ الفسادَ في القول والعمل أصلُه شبهةٌ، أو شهوةٌ قائمةٌ في القلب.

والقلب المريض بشبهة، أو شهوة محرمة فيه من صفات القلب الميّت بحسب ما فيه من المرض، فهو يتأثّر بأدنى شبهة وشهوة، ففيه من الرّان والقلق والقسوة والغفلة واللّهو ما يتناسب مع قوة المرض، إلا أنه لم يصل إلى درجة الختم والقفل والطبع، فهو

---

(٨٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٩٠/٥).
(٨٨) مفتاح دار السعادة (١١٠/١).
(٨٩) تفسير السعدي (٤٢/١).
(٩٠) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٦/٤).

قلب مريض ينفع فيه العلاج بإذن الله، كما أنه في طريقه إلى الموت إن أُهمل علاجُه، واستمرّ به داؤه[٩١].

قال ابن القيم مُشيراً إلى هذا المعنى: "ولما كان البدن المريض يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح: من يسير الحر والبرد والحركة ونحو ذلك، فكذلك القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيءٍ من الشبهة أو الشهوة حيث لا يقوى على دفعهما إذا وردا عليه .... وبالجملة فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وضعفت قوته وترامى إلى التلف ما لم يتدارك ذلك بأن يحصل له ما يقوي قوته ويزيل مرضه"[٩٢].

وهناك من الأمراض ما هو مُركّب من مَرَضَيْ الشبهة والشهوة جميعاً، فهو يجمع بين التصوُّر الفاسد، والإرادة الباطلة، يقول ابن القيم رحمه الله: "وللقلب أمراض أخر من الرياء والكبر والعجب والحسد والفخر والخيلاء وحب الرياسة والعلو في الأرض، وهذا مرض مركب من مرض الشبهة والشهوة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما"[٩٣].

**وأمراض الشُّبهات أخطر من أمراض الشّهوات**، فهي تؤثر على اعتقاد العبد، وتورثه الرّيب والشُّكوك في دينه، ولذلك كثيرٌ من أصحابه ينافحون عن معتقداتهم، ظانّين أنهم على صواب، خلافاً لمرض الشهوة الذي يُدرِك العبد غالباً أنه مبتلى به، وتنفع معه المواعظ والتّذكير، وقد يتخلّص منه، قال ابن القيم: "فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما" [٩٤].

ويقول أيضاً وهو يورد الآيات الدالّة على هذين المرضين: "وقد ذكر الله تعالى هذين المرضين في كتابه، أمّا مرض الشّبهات وهو أصعبهما وأقتلهما للقلب" [٩٥].

**علامات القلب المريض:**

إن للقلب المريض علامات عديدة بينها أهل العلم في كتبهم، وسأشير هنا لبعضها ـ مع العلم أن كلَّ ما يقابل علامات القلب السليم يصلح أن يكون علامة للقلب المريض ـ.

**فمن علامات مرض القلب:**

**١ـ أن يتعذّر على صاحبِ هذا القلبِ محبّةَ الله عز وجل فوق كُلِّ محبوبٍ، وإيثارَه، ومحبةَ الدار الآخرة**، قال ابن القيم: "ومرض القلب أن يتعذّر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة، فلو عرف العبد كل

---

(٩١) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (٣٣٨/١).
(٩٢) إغاثة اللهفان (١٨/١).
(٩٣) مفتاح دار السعادة (١١١/١).
(٩٤) إغاثة اللهفان (١٦٥/٢).
(٩٥) مفتاح دار السعادة (١١٠/١).

 Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئا ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه والأنس به فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين"[٩٦] .

وقال ابن رجب: "كُلُّ مَنْ أحبّ شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبودَه وإلهه"[٩٧].

**٢- أنّ صاحبَ القلب المريض لا تُؤلِمُه جِراحات المعاصي،** فالجسد الحي يتألم بالجراحة إذا جرح بخلاف غيره، وهذا الألم الذي يحس به المؤمن عندما يقع في المعصية يدعوه إلى التوبة وإلى الرجوع وإلى الاستقامة على طريق الله عز وجل، كما قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١))** [الأعراف:٢٠١]، فقوله: **(تَذَكَّرُوا)** ، أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب[٩٨].

**٣- ألا يُوجعه جهله بالحق، ولا يتألّم بما يرِد على قلبه من عقائد باطلة، ومن شُبهةٍ مُضلّة،** قال ابن القيم: "وقد يمرض القلب ويشتدُّ مرضُه، ولا يعرف به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه وتألم بجهله بالحق بحسب حياته" [٩٩].

**٤- استبدال صاحب هذا القلب الأغذيةَ النافعة لقلبه بالسُّموم الضارة،** فيستبدل السُّنة بالبدعة، والطاعة بالمعصية، والذِّكر بالغفلة، قال ابن القيم: "إن من علامات أمراض القلوب عُدُولُها عن الأغذية النّافعة الموافقة لها إلى الأغذية الضّارة ... فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضّار المؤذي، والقلب المريض بضدّ ذلك"[١٠٠] .

**٥- ومن علامات مرض القلب كذلك أن يستوطنَ صاحبُه الدُّنيا ويرضى بها، وتصير الدُّنيا أكبرَ همّه ومبلغَ علمه،** فلا يسعى للآخرة، قال تعالى ناهياً عباده عن الاغترار بالدنيا: **(فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣))** [لقمان:٣٣]، أي: فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم[١٠١].

---

(٩٦) إغاثة اللهفان (٦٨/١).
(٩٧) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب الحنبلي (ص: ٢٧).
(٩٨) انظر: تفسير ابن كثير (٥٣٤/٣).
(٩٩) إغاثة اللهفان (٦٨/١).
(١٠٠) المصدر السابق (٧٠/١).
(١٠١) انظر: تفسير الطبري (١٥٨/٢٠).

قال ابن القيم -مبيناً المراد بالعذاب- في قوله تعالى: **(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥))** [التوبة:٥٥]، "والصواب والله أعلم أن يقال: تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة، بالحرص على تحصيلها والتعب العظيم في جمعها ومقاساة أنواع المشاق في ذلك، فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه وهو حريص بجهده على تحصيلها، والعذاب هنا هو الألم والمشقة والنصب.... ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل، وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه"[١٠٢].

**٦- اتِّباع شهوات النّفس، والميل للحرام،** فالقلب المريض يؤزُّ صاحبَه لما تشتهيه نفسه، ولو كان فيه عطبُه وهلاكُه، يقول تعالى: **(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧))** [النساء:٢٧]. فقوله:**(وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)** ، أي: يميلون معها حيث مالت، ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدِّمين لأهوائهم على طاعة ربهم[١٠٣].

قال ابن الجوزي[١٠٤]: "رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائداً في المقدار، حتى إنها إذا مالت، مالت بالقلب والعقل والذهن، فلا يكاد المرء ينتفع بشيء من النُّصح"[١٠٥].

**٧- والجامع لهذه الأمراض هو اتّباع الهوى بغير هدى من الله،** والمراد بالهوى هو كل ما لم يأت به الرسول ﷺ[١٠٦]، وفي ذلك يقول الله جل وجلاله: **(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣))** [الجاثية:٢٣]. فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، أي جعل معبوده هو ما يهواه[١٠٧]. فاتّباع الهوى صادٌّ لصاحبه عن الحق، وطريق الرشاد، قال ابن القيم: "فإن اتّباع الهوى يصدُّ عن الحقّ ويُضلُّ عن سبيل الله"[١٠٨].

---

(١٠٢) إغاثة اللهفان (٣٦/١).
(١٠٣) انظر: تفسير السعدي (١٧٥/١).
(١٠٤) أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَلِيِّ التَّيْمِيُّ، البَكْرِيُّ، البَغْدَادِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، الوَاعِظُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِدَ: سَنَةَ تِسْعٍ -أَوْ عَشْرٍ- وَخَمْسِ مائَةٍ، صنف في فنون عديدة، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١)، وفيات الأعيان (١٤٢/٣).
(١٠٥) صيد الخاطر (٧١/١) .
(١٠٦) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤٨/١).
(١٠٧) انظر: إقامة الدليل على إبطال التحليل (٤٩٦/٥) .
(١٠٨) الصواعق المرسلة (٨٤٤/٣) .

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

وله أيضاً: "اتّباع الهوى وطول الأمد مادة كل فساد، فإن اتباع الهوى يعمى عن الحق معرفة وقصداً، وطول الأمل ينسي الآخرة ويصدُّ عن الاستعداد لها"[١٠٩].

وكذلك فإن اتّباع الهوى أعظم سبب في ضياع أمر القلب، حتى لا يقوى على فعل طاعة، أو اجتناب معصية، يقول ابن القيم: "وأعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة، اضاعة القلب واضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كلّه في اتباع الهدى والاستعداد للقاء، والله المستعان"[١١٠].

وقد ذكر رحمه الله في آخر كتابه الموسوم بروضة المحبين خمسين ثمرة وفائدة في مخالفة الهوى، وأن العطب في اتباع الهوى، ثم قال: "فالله سبحانه وتعالى المسؤول أن يعيذنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء، وأن يجعل هوانا تبعاً لما يحبه ويرضاه إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير"[١١١].

وهناك علامات عديدة لأنواع القلوب الثلاثة غير ما ذكر، لم أنقلها طلباً للاختصار، فاللهم نسألك قلوباً سليمة، ونعوذ بك من غيرها.

---

([١٠٩]) الفوائد (٩٩/١) .
([١١٠]) الفوائد (١١٢/١) .
([١١١]) روضة المحبين (٤٨٦/١) .

ثبت المصادر والمراجع


١. **إحياء علوم الدين:** لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.
٢. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ.
٣. **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٤. **الأعلام:** لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر.
٥. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:** لمحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٦. **أمراض القلوب وشفاؤها:** لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
٧. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:** لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
٨. **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار:** لأبي عبدالله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٩. **تعظيم قدر الصلاة:** لمحمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٠. **تفسير القرآن العظيم:** لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ
١٢. **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن:** لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.
١٣. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ١٤٠٣هـ.

Doi: 10.33850/jasis.2019.44484

١٤.**سير أعلام النبلاء:** لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
١٥.**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ
١٦.**صيد الخاطر:** لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
١٧.**كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء):** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٨.**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
١٩.**معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي:** لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٠.**مجموع الفتاوى:** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.